

وعلى لسان رسول الله ﷺ يعلم أنهم ماضون على هدي رسوله ﷺ وسنته: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

«فمن أخبرنا الله سبحانه أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم ألبتة»^(١).

زواج المتعة:

أما المتعة، فرغم جوازها - بل استحبابها - عندنا كشيعة، إلا أنه كان في نفسي شيء منها منذ البداية، قبل أن تقع عيناى على أدلة تحريمها، حيث كانت مرفوضة عندي، وكنت إذا سمعت من يناقش لتجوزها أخجل من الدخول معه في الحوار، وأسأله فقط: هل تقبله على أختك؟؟ فيجيب بـ: «لا» على استحياء؛ بل أحيانا كان الرد مصحوباً بالغضب.

إن إباحة المتعة كانت إباحة مؤقتة للضرورة، ثم حرّمها رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة في أحاديث صحيحة صريحة.. والغريب أن تجد في التراث الشيعي روايات أئمة آل البيت تصرح بحرمة وشناعة المتعة، ثم لا تجد استجابة من قومنا تجاه هذه الروايات.

(١) الفصل لابن حزم الأندلسي (٢٢٥/٤).

فعن عبدالله بن سنان قال: (سألت أبا عبدالله ﷺ عن المتعة؟ فقال: لا تدنس نفسك بها).

وعن علي بن يقطين قال: (سألت أبا الحسن ﷺ عن المتعة؟ قال: وما أنت وذاك، وقد أغناك الله عنها؟!).

وعن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله ﷺ قال: (ما تفعلها عندنا إلا الفواجر)^(١).

أما الطوسي فروى في «الاستبصار» (١٤٢/٣) عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن آبائه عن علي قال: (حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة).

ولم يجد مخرجاً من هذه الرواية سوى أن يقول: (فالوجه في هذه الرواية أن نحملها على التقية لأنها موافقة لمذاهب العامة)!

فنفاها لموافقتها لما عليه أهل السنة رغم صحتها عنده!



(١) النوادر لأحمد بن عيسى القمي ص ٨٧.

تناقضات يعيشها المذهب..

تعلمنا منذ الصغر أن نحبي ليالي عاشوراء باللطم والنوح ونحن نذكر مصاب أبي عبدالله عليه السلام، لكن من منا تفكر ولو للحظة فيما نفعله، هل له مستند شرعي من كتاب أو سنة أم أن الأدلة تدين ما نفعله؟! ... لا أحد...!

سنون مضت من عمري وأنا على هذه الحال حتى طرأت عليّ تغيرات قادتني إلى التسنن. لم أكن أتصور أنني عشتُ وهماً في حياتي كالذي عشتُ في تلك الفترة.

هذا المرجع التبريزي يُسأل عن الشعائر الحسينية: ما مدى مشروعيتها؟ فيجيب بقوله: (كانت الشيعة على عهد الأئمة تعيش التقية، وعدم وجود الشعائر في وقتهم لعدم إمكانها لا يدلُّ على عدم المشروعية في هذه الأزمنة، ولو كانت الشيعة في ذاك الوقت تعيش مثل هذه الأزمنة من حيث إمكانية إظهار الشعائر وإقامتها لفعلوا كما فعلنا، مثل نصب الأعلام السوداء على أبواب الحسينيات بل الدور إظهاراً للحزن)^(١).

(١) ملحق بالجزء الثاني من صراط النجاة للخوائي ص ٥٦٢.

المسألة استحسان من قبل علماء المذهب، ولا نص من كتاب أو سنة على مشروعية ما يُفعل في أيام محرم باسم (إحياء شعائر الله تعالى).

بينما الناظر في روايات أئمة آل البيت وكلام علماء الشيعة القدماء يجد شيئاً آخر؛ فقد ذكر ابن بابويه القمي في «من لا يحضره الفقيه» (٣٧٦/٤) أن من ألفاظ رسول الله ﷺ التي لم يُسبق إليها: «النياحة من عمل الجاهلية».

وروى النوري الطبرسي في «مستدرك الوسائل» (١٤٣/١ - ١٤٤) عن علي عليه السلام قال: (ثلاث من أعمال الجاهلية لا يزال فيها الناس حتى تقوم الساعة: الاستسقاء بالنجوم، والطعن في الأنساب، والنياحة على الموتى).

وروى محمد باقر المجلسي في «بحار الأنوار» عن علي عليه السلام قال: (لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أمرني فغسلته، وكفنه رسول الله ﷺ وحنطه، وقال لي: «احمله يا علي»، فحملته حتى جئت به إلى البقيع فصلى عليه... فلما رآه منصباً بكى ﷺ، فبكى المؤمنون لبكائه حتى ارتفعت أصوات الرجال على أصوات النساء، فنهاهم رسول الله ﷺ أشد النهي، وقال: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسطخ الرب وإنا بك لمصابون وإنا عليك لمحزونون»...)^(١).

(١) بحار الأنوار (٨٢/١٠٠ - ١٠١).

لاحظ موقف النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام من النياحة.. كيف تحول النهي عن النياحة ووصفها بأنها من عمل الجاهلية إلى حكم (الاستحباب)؟!!

ولوضوح النصوص في الزجر عن النياحة صرح الطوسي وابن حمزة بتحريم النوح، ونص الطوسي على إجماع الشيعة على ذلك في زمانه^(١).

وقد نصت الروايات على أن لطم الوجه والصدر من البدع الشنيعة التي لا يرضى بها الله تعالى ولا رسوله المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ولا الأئمة الأطهار.

فقد قال الإمام الباقر: (أشد الجزع الصراخ بالويل والويل، ولطم الوجه والصدر، وجز الشعر من النواصي، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر، وأخذ في غير طريقه)^(٢).

وقد روي أن الإمام الحسين قد قال لأخته زينب: «يا أختي، اتقي الله، وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله تعالى الذي خلق الخلق بقدرته فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة»، فعزاها بهذا ونحوه، ثم قال لها: «يا أختاه!

(١) انظر: الذكرى للشهيد الأول ص ٧٢.

(٢) رواه الكليني في الكافي (٢٢٢/٣ - ٢٢٣)، والفيض الكاشاني في الوافي (٨٧/١٣)، والحر العاملي في وسائل الشيعة (٩١٥/٢).

إني أقسمت عليك فأبري قسمي، إذا أنا قُتلتُ فلا تشقي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور»^(١).

ولهذا نقل محمد بن مكّي العاملي (الشهيد الأول) عن الطوسي قوله: (يحرم اللطم والخدش وجز الشعر إجماعاً، قاله في «المبسوط»، ولما فيه من السخط لقضاء الله)^(٢).

أما لبس السواد فحسبك قول الإمام علي عليه السلام: «لا تلبسوا السواد فإنه لباس فرعون»^(٣).

أمام هذه الروايات التي تحرّم النياحة واللطم ولبس السواد وقفت حائراً بينها وبين واقع مرّ تربيت عليه ظاناً أن ما أفعله يعبر عن حبي أهل البيت، ولم أكن أعلم أن ما نفعله في الحسينيات والمآتم هو مخالفة صريحة لوصايا وأقوال أهل البيت ولأقوال جدّهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.



(١) الملهوف لابن طاووس ص ٥٠، ومنتهى الآمال لعباس القمي (٤٨١/١).

(٢) الذكرى ص ٧٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه (١٦٣/١)، وسائل الشيعة (٢٧٨/٣).

ولا يفلح الساحر حيث أتى...!

اشتهر في منطقتنا القضيبيّة^(١) رجل بمعالجة المرضى ومشاكل الناس بالقرآن والأدعية المشروعة.

وبعد تحوُّلي إلى عقيدة أهل السُّنة والجماعة، وأمام عجز أهلي وأصحابي وغيرهم عن إرجاعي، أُشيعت حولي إشاعات مغرضة بُغية التضيق عليّ وإسقاطي.

وتطوع ذلك الرجل الذي كان يُظنُّ به عند الشيعة أنه من أهل العلم والصلاح لإقناعي بالعدول عن قراري، فتقرب مني، وبطريقة دبلوماسية ذكر لي أنَّ والده كان زميلاً لوالدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثم شرع في ذكر أمور؛ كان منها أن فتح لي المصحف بطريقة عشوائية وتمتم بكلمات لا أعرف ما هي، ثم قال لي: اقرأ هذه الآية، فقرأتها.. فإذا بها آية زعم أنها تحذرنني مما أنا عليه!!

(١) القضيبيّة: منطقة مشهورة في البحرين وتقع بمدينة المنامة، حيث مسقط رأسي ومولد الأجداد، وكانت مصيفاً لبعض أهالي المدن المجاورة قديماً وبالأخص أهالي المحرق، وذلك للطافة جوها.. حسبما ذكر لي بعض كبار السن ومنهم جدي من قبل الأم.

وقال لي: هذه الآية رحمة... وهي خير لك إذا طبقتها، وسوف تسمعها أكثر من مرة هذه الليلة لتأكيد الخير لك!

وبالفعل... فبمجرد أن ركبت سيارتي وفتحت المذياع على إذاعة القرآن الكريم... إذ بي أسمع نفس الآية!

ناديته منها قائلاً له: لقد صدقت!

فابتسم قائلاً: إنَّ الله يحبك! وسوف تُوفَّق في حياتك إذا طبقتها.

عند وصولي إلى المنزل فتحت التلفاز ففوجئت بالآية نفسها!

فكَّرت فيما قاله... وأسرعت ففتحت المصحف الذي في حوزتي بالمنزل بعجالة شديدة وبأسلوب عشوائي، فتفاجأت بالآية نفسها!

لم أنم ليلتها... لا خوفاً منه أو مما يصدر عنه، لكن ما حدث لي استولى على تفكيري، فبتُّ أفكّر: (كيف صدق قوله في كذا وكذا؟! وكيف حدث لي كذا وكذا وكيف وكيف؟!).

بعد أيام قليلة تفاجأت بصديق لي شيعي ومن نفس منطقتي يقول لي: لقد سمعتُ من أناس بالمنطقة أنَّ فلاناً - يقصد الرجل المعروف بالعلم والصلاح - أخبرهم أنه تنبأ بأنَّ (القضيبي) سوف يرجع شيعياً كما كان في السابق قريباً، فضحكْتُ وقلت: وهل صاحبنا يعلم الغيب أم أنه ساحر؟!

وعندها بدأتُ أفكّر فيما قلته، نعم... لماذا لا يكون ساحراً؟!

ربطتُ بين كلام صديقي عنه وبين كلامه معي بالآية التي كانت تتكرر لي.

فسألت نفسي سؤالاً: ماذا يريد مني هذا الشخص بالتحديد؟ سألت عنه صديق والدي وهو من المنطقة أيضاً، فأخبرني أنَّ الرجل ليس صالحاً كما يتصوره أهل المنطقة، وإنما هو شخص يتعامل مع الجن.

مضت أيام والرجل يحاول إقناعي بأنه يريد الخير لي، وأنَّ الخير في اتباع مذهب آل البيت، برأ الله تعالى آل البيت منه ومن أمثاله.

فأحببتُ أن أختبره وأستخرج ما في جعبته، فدخلتُ معه في نقاش حول التوحيد والشرك في أكثر من جلسة، وكنتُ أرى فيه العجز عن الإجابة على التساؤلات التي أثيرها عليه والحجج التي أقبله بها.

وفي مجلس ضمَّ عدداً هائلاً من الشيعة وبعض السنَّة من المنطقة، طرحْتُ عليه بعضاً من المسائل المتعلقة بالشرك، وذكرتُ ما عمله معي تلك الليلة، فلم يستطع الإجابة، بل تفاجأ الجميع بهروبه من المجلس، وانكشفت بذلك حقيقة، وانفضح أمره.

تذكرتُ حينها قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

لكن صاحبنا لم يكتفِ بذلك، بل بذل كلَّ ما بوسعه من

أجل إبعاد أهل المنطقة عني لئلا يتأثر بي أحدهم، مدَّعياً بأنَّ لديَّ نوايا خبيثة!

ولكن محاولاته باءت بالفشل، فقد افتضح وعلم الناس حقيقته، ومن ذلك اليوم أصبح قليل الخروج من المنزل، وأصبح معروفاً في المنطقة باسم «الساحر»، وكلما قابل أحداً من أهل المنطقة حاول إيجاد مبررات لنفسه، مدَّعياً بأنَّ الذي ألجأه إلى هذا العمل هو قصد الخير.

لا أدري أين هؤلاء من الآيات والأحاديث الصريحة التي تدين السحر والسحرة وتنصُّ على كفرهم!!

ثم أي حقَّ هذا الذي ينتصر بالسحر والشعوذة عوضاً عن الحجة والبرهان؟!

هذه روايتنا تقول: إنّ رسول الله ﷺ قد قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: وما هي؟ قال: «الإشراك والسحر...»^(١).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن جدِّه علي عليه السلام أنه قال: «من تعلَّم شيئاً من السحر قليلاً أو كثيراً فقد كفر»^(٢).

وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «من جاء عرافاً فسأله وصدَّقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد»^(٣).

(١) وسائل الشيعة (١٥/٣٣٠)، وبحار الأنوار (٧٨/١١٣).

(٢) وسائل الشيعة (١٧/١٤٨)، وبحار الأنوار (٦٧/٢١٠).

(٣) مستدرک الوسائل (١٣/١٠٠).

ومن التعصب ما قتل!

حين يبلغ التعصب مداه تُنتزع الرحمة والأخلاقيات من الناس، وتظهر المواقف المضحكة والمبكية في آن واحد.

وأذكر من هذه المواقف موقفين: أحدهما حصل لي شخصياً بعد تسنيي، والآخر حصل لطفل صغير لا يفقه شيئاً من تعصباتنا التي قضت على الأخضر واليابس.

كنتُ خارجاً من المسجد بعد الانتهاء من صلاة العصر، إذ شاهدتني امرأة من الشيعة طاعنة في السن تُدعى (أم إبراهيم)، تعرفني وتعرف أهلي جيداً.

كانت تحمل كيساً في يدها فيه بعض حاجيات المنزل، وبعد أن ألقيت عليها التحية، سألتني عن أحوالي وعن أحوال جدتي ووالدتي وإخوتي، ثم أخذت منها الكيس لأساعدها في حمله إلى منزلها القريب من المسجد، وعندما وصلنا إلى المنزل، سألتني: من أين أتيت؟ فقلت لها وأنا أشير بعفوية إلى المسجد: من المسجد، فغضبت عليّ وبصقت في وجهي قائلة: سوّد الله وجهك! لقد قيل لي أنك تحولت إلى أهل السنة ولكني لم أصدّقهم!

أما حكاية الطفل (عمر بن علي) فحكّاها لي أحد أعمامه قائلاً: إنّ جدة (عمر) وهي امرأة طاعنة في السن (من سكان القضيبة) تربطها بنساء من الشيعة بالمنطقة علاقة قوية إلى درجة أنها أحياناً كانت تجلس معهن في المآتم.

جلست ذات يوم معهن وكان برفقتها حفيدها واسمه (عمر)، وكان (عمر) صغيراً في السن لا يكاد يستطيع حتى نطق اسمه لصغر سنّه.

كان عمر يلعب بفناء المآتم مع الأطفال، وعندما وقع على الأرض وبكى، حاولت إحدى النساء (من إحدى المناطق المجاورة لمنطقتنا) أن تداعبه كي يهدأ ويتوقف بكاءه، فسألته: ما هو اسمك يا ولدي؟ أجابها الطفل قائلاً: أمل، أي (عمر)، فسألته مرة ثانية لأنها لم تفهم من نطقه ما يريد، فكرّر الطفل نفس الإجابة، فعندها أجابتها جدة الطفل - وكان ذلك أمام النساء - قائلة: اسمه (عمر)، فتفاجأت الجدة بالمرأة تدفع الطفل وتقول له: روح.. لعنة الله عليك وعلى عمر ومن سماك عمر ومن يسمي ابنه عمر..! (١).

عندها خرجت الجدة من المآتم دون رجعة.

(١) وبهذا تكون هذه المرأة قد لعنت (آل البيت) أيضاً من حيث لا تشعر، فقد ذكر الطبرسي في «إعلام الوري» (٢١٣/١) أنّ من أبناء الإمام الحسن (عمر)، وسمى الإمام زين العابدين أحد أبنائه باسم (عمر) كما ذكر ذلك الشيخ عباس القمي في «منتهى الآمال» (٥٩/٢)، وذكر الأربلي في كتابه «كشف الغمة في معرفة الأئمة» (٣١/٣) أنّ الإمام موسى الكاظم له ابن اسمه (عمر)، فانظر إلى التعصب كيف يقود أصحابه إلى الهاوية!

تاريخ أهل البيت ينفي عقيدة الإمامة النصية

إنَّ المتأمل في التراث التاريخي الشيعي ليجد أنَّ عقيدة الإمامة التي يوالي ويعادي عليها الشيعة اليوم لم تكن مكتملة ولا واضحة المعالم عند الشيعة أنفسهم حتى وفاة الإمام الحسن العسكري وافتراق الشيعة بعد موته إلى فرق كثيرة؛ منها الإمامية الاثنا عشرية والإسماعيلية.

فقد كانت فكرة الثورة على الأمويين والعباسيين وأحقية العلويين بالخلافة هي الفكرة المسيطرة على الكل والمنطلق الذي كانت تنطلق كل الفصائل الشيعية آنذاك من خلاله دون تحديد قائمة بأسماء أئمة اثني عشر.

ولذلك لم يكن عامة الشيعة يميّزون كثيراً بين أئمة أهل البيت، بل كانوا ينخرطون في أي حركة يقوم بها إمام أو ثائر؛ كما في حركة الإمام زيد بن علي وحركة ذي النفس الزكية وغيرهما.

وإذا ما دققنا النظر في الفترة التي أعقبت مقتل الحسين عليه السلام

على وجه الخصوص، فإننا نلاحظ أنَّ علي بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام - وهو الإمام الرابع عند الاثني عشرية - قد انعزل عن الحياة السياسية الشيعية تاركاً القيادة لمعاصريه من أئمة أهل البيت في قيادة الشيعة والتعاطي مع مشاكلهم وثوراتهم.

وانشغل بالعبادة وعُرف عنه الزهد وكثرة الصلاة... حتى يذكر المفيد والأربلي أنه (كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة)^(١)، وجملة ما يُذكر عن هذا الإمام التقى إنما هي مواعظ وأدعية وبعض الأحكام الشرعية التي يفتي بها العلماء عادة.

هذا الفراغ الواضح في قضية تصديقه للإمامة جعل علماء الشيعة الاثني عشرية يحرصون على سدّ هذا النقص من خلال ذكرهم لعدة قصص في معجزات هذا الإمام والثناء عليه سعيّاً وراء إثبات هذه الإمامة، مع أنَّ واقع الشيعة آنذاك كان يشير إلى إجلالهم له واعترافهم بعلمه وفضله، لا بكونه قائداً سياسياً أو إماماً^(٢).

لهذا فوجيء زيد بن علي عليه السلام عند قدومه للكوفة بنظرية (مؤمن الطاق) ومن معه القائلة بإمامة أبيه علي بن الحسين

(١) الإرشاد ص ٢٥٦، كشف الغمة (٢/٢٩٣).

(٢) ولا بد من الإشارة إلى سهولة اختلاق المرء للقصص في معجزات من يحب، فالإسماعيلية طرحت قصصاً في الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق تثبتاً لإمامته، والرفاعية طرحت قصصاً كثيرة في الرفاعي ومعجزاته، وكذا التيجانية... فما أسهل ذكر القصص لكن العبرة بواقع حال تلك الفترة.

(زين العابدين)، فقال لمؤمن الطاق في حوار دار بينهما: (يا أبا جعفر، كنتُ أجلس مع أبي - علي بن الحسين - على الخوان، فيلقمني البضعة السمينية، ويزد لي اللقمة الحارة حتى تبرد شفقةً عليّ، ولم يشفق عليّ من حر النار؛ إذ أخبرك بالدين ولم يخبرني به؟! فأجابه مؤمن الطاق قائلاً: (جعلت فداك! من شفقتك عليك من حر النار لم يخبرك، خاف عليك أن لا تقبله فندخل النار، وأخبرني أنا.. فإن قبلت نجوت، وإن لم أقبل لم يبال أن أدخل النار كما كنتم يعقوب الرؤيا عن بنيه)!!^(١).

تصور الفكرة..! ابن الإمام لا يعرف بإمامة أبيه ولم يسمع منه ولا في عصره عن فكرة تصدي أبيه للإمامة، ثم يأتي (مؤمن الطاق) وأمثاله من أهل الكوفة بمثل هذه الدعوى بعد موت أبيه (زين العابدين)!

هذا جانب من التاريخ الشيعي لا ينبغي إغفاله، وهناك جوانب أخرى كثيرة كفيلة بنقض نظرية الإمامة النصية.

هناك عدة أحاديث شيعية تصرّح بإمكانية جهل الشيعة بالإمام، وترسم لهم الموقف في ذلك الظرف، وهو ما لا يمكن تصوره في عقيدة الإمامة النصية التي يفترض فيها أن يؤمن الشيعي باثني عشر إماماً يعرف أسماءهم وأبناء من هم.

(١) الكافي (١/١٧٤).

روى الكليني في «الكافي» أنّ رجلاً سأل أبا عبدالله (عليه السلام) قائلاً: إذا أصبحت وأمسيّت لا أرى إماماً أأتم به ما أصنع؟... قال: (فأحبّ من تحب وأبغض من تبغض حتى يظهره الله (عجل)).^(١).

وروى الصدوق عن الإمام الصادق قوله: (كيف أنتم إذا بقيتم دهرًا من عمركم لا تعرفون إمامكم؟... قيل: فإذا كان ذلك فكيف نصنع؟ قال: تمسكوا بالأول حتى يستبين لكم)^(٢).

وروى الكليني والصدوق والمفيد عن عيسى بن عبدالله العلوي العمري عن أبي عبدالله جعفر بن محمد (ع) قال: قلت له: جعلت فداك! إن كان كون - ولا أراني الله يومك - فبمن أأتم؟ قال: قال: فأوأمأ إلى موسى، فقلت: فإن مضى موسى فبمن أأتم؟ قال: بولده، قلت: فإن مضى ولده وترك أخاً كبيراً وابناً صغيراً فبمن أأتم؟ قال: بولده، ثم هكذا أبداً، قلت: فإن أنا لم أعرفه ولم أعرف موضعه فما أصنع؟... قال: تقول: (اللهم إني أتولّى من بقي من حججك من ولد الإمام الماضي... فإنّ ذلك يجرئك)!!

وهناك روايات أخرى عن زرارة بن أعين ويعقوب بن شعيب وعبدالأعلى أنهم سألوا الإمام الصادق: إذا حدث للإمام حدث كيف يصنع الناس؟ قال: يكونوا كما قال الله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ

(١) الكافي (١/٣٤٢).

(٢) إكمال الدين ص ٣٤٨، ٣٥٠ - ٣٥١.

فَرَقَهُ مِّنْهُمْ طَائِفَةً لِّتَنْفَقَهُوا فِي اللَّيْلِ» [التوبة: ١٢٢] إلى قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، قلت: فما حالهم؟ قال: هم في عذر، قلت: جعلت فداك! فما حال المنتظرين حتى يرجع المتفقهون؟ قال: رحمك الله، أما علمت أنه كان بين محمد وعيسى خمسون ومائتا سنة، فمات قوم على دين عيسى انتظاراً لدين محمد، فاتاهم الله أجراً مرتين؟! قلت: نفرنا، فمات بعضنا في الطريق؟ قال: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوُتُّ فَقَدْ أَوْفَىٰ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، قلت: فقدمنا المدينة فوجدنا صاحب هذا الأمر مغلقاً عليه بابه مرخياً عليه ستره؟ قال: إن هذا الأمر لا يكون إلا بأمر بيّن، هو الذي إذا دخلت المدينة قلت: إلى من أوصى فلان؟ قالوا: إلى فلان^(١).

بل إن روايات كثيرة تشير إلى عدم معرفة الأئمة أنفسهم بإمامتهم أو إمامة الإمام اللاحق من بعدهم إلا قرب وفاتهم، فضلاً عن الشيعة الإمامية أنفسهم الذين كانوا يقعون في حيرة واختلاف بعد وفاة كل إمام، وكانوا يتوسلون لكل إمام أن يعين اللاحق بعده ويسمّيه بوضوح لكيلا يموتوا وهم لا يعرفون الإمام الجديد، وأنهم كثيراً ما كانوا يقعون في الحيرة.

ففي كتاب «بصائر الدرجات» لأبي جعفر محمد الصفار - وهو من أصحاب الإمام الحسن العسكري - باب بعنوان: (باب

في الأئمة أنهم يعلمون إلى من يوصون قبل موتهم مما يُعلمهم الله^(١).

أورد فيه عدة روايات منها ما رواه عبدالرحمن الخزاز عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان لإسماعيل بن إبراهيم ابن صغير يحبّه وكان هوى إسماعيل فيه فأبى الله ذلك، فقال: يا إسماعيل هو فلان، فلما قضى الله الموت على إسماعيل، وجاء وصيّه فقال: يا بني إذا حضر الموت فافعل كما فعلت؛ فمن أجل ذلك ليس يموت إمام إلا أخبره الله إلى من يوصي! وفي «بصائر الدرجات» أيضاً باب بعنوان (باب في الإمام ع) أنه يعرف من يكون بعده قبل موته!

وكنتيجة طبيعية لهذا الغموض الذي يكتنف عقيدة الإمامة النصية - حتى أنّ الإمام نفسه لا يعلم من الإمام بعده إلى قبيل وفاته - تاه عامة الشيعة بين هذا الإمام وذاك، فضلاً عن كبار رواة وأصحاب الأئمة!

فقد توفي زرارة بن أعين - أحد كبار أصحاب الإمامين: الباقر والصادق - دون أن يعرف الإمام من بعد الإمام الصادق! وكان زرارة قد أرسل ابنه عبيدالله من الكوفة إلى المدينة لكي يستطلع له الإمام الجديد، ولكن الموت أدركه، فوضع القرآن على صدره وقال: (اللهم اشهد أنني أتمم بمن أثبت إمامته هذا المصحف)^(٢).

(١) ص ٤٣٥.

(٢) إكمال الدين ص ٧٥، ٧٦.

(١) تفسير العياشي (١١٧/٢ - ١١٨)، والإمامة والتبصرة من الحيرة ص ٢٢٦، وإكمال الدين ص ٧٥.

ولو كان معلوماً عنده وعند غيره من أصحاب الأئمة أن الإمام من بعد جعفر الصادق (عليه السلام) هو موسى الكاظم (عليه السلام) لآمن بإمامته دون الحاجة للسؤال ودون أن يعتريه الشك.

ويذكر الصفار والكليني والمفيد والكشي ذهاب أبرز أصحاب الأئمة كهشام بن سالم الجواليقي ومحمد بن النعمان الأحول - بادئ الأمر - إلى إمامة عبدالله الأفطح من بعد أبيه جعفر الصادق وذلك لرواية عن أبي عبدالله أنه قال: (إن الأمر في الكبير ما لم تكن به عاهة)، وإصرار عمار الساباطي - وهو من أصحاب الإمامين الباقر والصادق - على القول بإمامة عبدالله الأفطح حتى النهاية^(١)!

ويقول هشام بن سالم الجواليقي أنه دخل على عبدالله الأفطح مع مجموعة من الشيعة وأنهم سألوه بعض المسائل الفقهية، فلم يجبههم بصورة صحيحة، مما دفعهم إلى التشكيك بإمامته والخروج من عنده (حيارى ضلالاً... ففقدنا في بعض أزقة الكوفة باكين حيارى لا ندري إلى أين نتوجه ولا من نقصد، ونقول: إلى المرجئة؟!... إلى الزيدية؟!... إلى المعتزلة؟!... إلى الخوارج؟!... فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئذ إليّ بيده... فقال لي: ادخل رحمك الله! فدخلت، فإذا أبو الحسن موسى، فقال لي ابتداءً منه: لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية ولا إلى الزيدية ولا إلى

الخوارج!... إليّ إليّ...! قلت: جعلت فداك! مضى أبوك؟ قال: نعم... قلت: فمن لنا من بعده؟ قال: إن شاء الله أن يهديك هداك، قلت: جعلت فداك! فأنت هو؟ قال: لا، ما أقول ذلك، فقلت في نفسي: لم أصب طريق المسألة، ثم قلت: جعلت فداك! عليك إمام؟ قال: لا... فدخلني شيء لا يعلمه إلا الله إعظاماً له وهيبة^(١).

وفي هذه الرواية يقول هشام بأن الناس اجتمعوا - في البداية على الأقل - على إمامة عبدالله الأفطح، وأن أقطاب الإمامية لم يكونوا يعرفون بأي نص حول الإمام الكاظم الذي لم يكن على استعداد للإعلان عنها أمام الملأ، وسواء صح تراجع هشام بن سالم وأصحابه عن القول بإمامة عبدالله بن الأفطح في حياته أم لا، فإن الأفطح قد توفي بعد مضي سبعين يوماً فقط من وفاة أبيه دون أن يخلف ولداً تستمر الإمامة في ذريته، وهذا ما خلق أزمة جديدة في صفوف الإمامية آنذاك، ففرقة تراجعت عن القول بإمامته، وشطبت اسمه من لائحة الأئمة، وآمنت بالإمام الجديد (موسى بن جعفر) وهم الموسوية، وذهب قسم آخر كعبدالله بن بكير وعمار بن موسى الساباطي إلى القول بإمامة أخيه موسى من بعده، وعرف هؤلاء باللفطحية، وكانوا من كبار أصحاب الإمام الصادق وبقية الأئمة اللاحقين.

(١) الكافي (٣٥١/١)، والإرشاد ص ٢٩١، وبصائر الدرجات ص ٢٥٠ - ٢٥١، ومنتهى الآمال (٢/٢٥٨)، ورجال الكشي (ترجمة هشام بن سالم).

(١) الكافي (٣٥١/١ - ٣٥٢)، والإرشاد ص ٢٩١، وبصائر الدرجات ص ٢٥٠ - ٢٥١، ورجال الكشي ترجمة هشام بن سالم.